جوهرها، الى التحولات التي ترافقت مع «البيريسترويكا» و«الغلاسنوست» و«الديمقراطية» والتي رفعتها موسكو، واستغلها الصهيونيون على نحو واسع داخل الاتحاد السوفياتي، وخارجه، مدعومين من الحركة الصهيونية العالمية وتحالفاتها الغربية، ليجسّدوا نفوذاً صهيونياً يعبّر عن نفسه «بطريقتين: بشكل علني ومباشر، عبر تشكيل جمعيات ومؤسسات وحركات ذات طابع يهودي صرف؛ ثمّ بممارسة نفوذ خفيّ غير مباشر، من خلال التغلغل والتواجد في معظم مؤسسات واجهزة الحزب والدولة والاعلام» (ص ٢٨).

لقد مهّد الكاتب بما تقدم، من اجل الانتقال الى الفصل الثاني من كتابه «تصاعد النشاط الصهيوني»، والذي وانْ كان قائماً بشكل خفي قبل العام ١٩٨٥، فانه، بعد ذلك التاريخ، اتخذ طابعاً علنياً، «حيث سمح بتأسيس مراكز ثقافية وجمعيات واتحادات لليهود الصهيونيين في معظم المدن التي يتواجدون فيها». وفي هذا الصدد تمّ انشاء اكثر من مئتي مركز ثقافي يهودي، كانت مقدمة للانتقال من النشاط الثقافي الى السياسي، الذي من ابرزه تشكيل «اتحاد الصهيونيين» في آب (اغسطس) ١٩٨٩ (ص ٣٢)، ثمّ «مؤتمر المنظمات اليهودية الصهيونية» الذي عقد في موسكو، في أواخر العام ١٩٨٩ (ص ٣٦). وترافق هذا التطور مع تنشيط الوجود الصهيوني في اجهزة الاعلام السوفياتية، من صحافة وتلفزيون.

وانتقالاً الى محور آخر في الفصل الثاني، تناول المؤلف النشاط المعادي للصهيونية في الاتحاد السوفياتي والهيئات والمنظمات النشطة في هذا المضمار؛ وأبرزها تسع منظمات، منها «منظمة الذاكرة» و «منظمة الوطن» و«اللجنة الاجتماعية السوفياتية المناهضة لاعادة العلاقات مع الدولة الصهيونية»، والاخيرة اسسها المفكّر السوفياتي الراحل يفسييف في العام ١٩٨٨ (ص ٤٣). ومن اجل توسيع المعرفة بالتيار المناهض للصهيونية، استعرض المؤلف آراء بعض المفكرين والكتاب السوفيات الذين يساهمون في المنظمات المعادية للصهيونية في الاتحاد السوفياتي، ومنهم الكسندر رومانينكو، رئيس «منظمة الوطن» وصاحب التقرير الشهير عن النشاط الصهيوني في الاتحاد السوفياتي (ص ٤٥ ـ ٥٢)، وديمتري فاسيلييف رئيس «منظمة الذاكرة»، احدى انشط المنظمات المعادية للصهيونية (ص ٥٢ ـ ٦٢).

أمّا الفصل الثالث، فقد خصّصه المؤلف للدخول تفصيلاً في «ابرز مفاهيم وآراء يفسييف» من خلال مؤلفات الاخير. وهكذا مضى الكاتب في تناول آراء يفسييف، مؤكداً ان اهمية تلك الآراء انما تكمن في ان صاحبها «تجاوز النمط السائد في التفكير السياسي» السوفياتي. وبدأ من مقولة يفسييف ان الصهيونية والفاشية توأمان (ص ٧١)، مبرزاً، من خلال معطيات معروفة على نطاق واسع، العلاقة التي تربط بين الصهيونية والفاشية. وانتقل، بعدها، الى رأي يفسييف في «التشابه المشؤوم» بين الصهيونية والنازية، والذي ظهر جلياً واضحاً في اعقاب العدوان الاسرائيلي على لبنان في العام ١٩٨٢. وتناول بالمقارنة اقوال زعيم النازية ادولف هتلر، والمتشابهة مع اقوال صهيونيين مثل احاد هعام وناحوم سوكولوف ودافيد بن ـ غوريون وآخرين، الامر الذي يكشف عنصرية الصهيونيين، ويفسّر جوانب من العلاقات الوثيقة بين الصهيونيين وجنوب افريقيا (ص ٧٨).

وانتقل من تناول آراء يفسييف السياسية الى استعراض الآراء النظرية، ومنها «الصهيونية والخرافات» و«رجعية المفاهيم الفلسفية الصهيونية» ومقولة «امّة يهودية» وموضوع «الاندماج» بما يعنيه من موت للفكرة الصهيونية و «معاداة السامية» و «الدين اليهودي في نظام الصهيونية» و «الجوهر الرجعي للديانة اليهودية».

ومضى المؤلف، في الفصل الرابع، على غرار الفصل السابق، في استعراض آراء يفسييف في موضوعات الصهيونية واسرائيل وقضايا الصراع معهما، ولكن في جانب آخر، هو جانب معلوماتي ـ تحليلي وضعه تحت بند «اذرع الاخطبوط الصهيوني»، وهو عنوان الفصل، وتحته أشار الى «شبكة المنظمات الصهيونية» التي يغطي نشاطها ثمانين بلداً في العالم، تعمل فيها منظمات وهيئات مختلفة الاسماء والاهتمامات واللافتات، ولكنها مشدودة دائماً، بقوة، الى مركز هو «المنظمة الصهيونية العالمية»، ومقر قيادتها القدس المحتلة، ويمثّل صهيونيو تل ـ ابيب مركز الثقل فيه، اذ لهم اربعون بالمئة من الاعضاء القياديين في المنظمة العالمية (ص ١١٥).

وتناول الكتاب نقطة اخرى في جانب معلومات يفسييف عن الصهيونية، هي «الجهاز الدعائي